

معالم إصلاحية في نبأ بناء البيت	عنوان الخطبة
١/ نبأ بناء الكعبة البيت الحرام ٢/ معالم إصلاح الفرد والمجتمع من خلال قصة بناء البيت	عناصر الخطبة
محمد بن عبدالله السحيم	الشيخ
٩	عدد الصفحات

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل بيته مثابة للناس وأمناء، وأودع فيه من ذخائر البرِّ
حُسْنًا ومعنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله، - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه، ورضي
عنهم وعنّا.

أما بعد: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) [آل عمران: ١٠٢].

أيها المؤمنون: لبناء الكعبة البيت الحرام نبأ بالغ العظمة، حدّث به خبرُ
الأمّة، وترجمانُ قرآنها؛ ابنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - فيما روى البخاريُّ في



khutabaa.com

ص.ب 156528 الرياض 11788
+966 555 33 222 4
info@khutabaa.com

صحيحه، فقال: "أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُتَعَبَى أَثَرُهَا عَلَى سَارَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرَضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ فَقَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا" (نحو الشام، كما جاء في رواية ابن إسحاق)، فَتَبِعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟! فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا"، وفي رواية: "قالت: حسي؛ رضيت بالله"، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ؛ فَقَالَ: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَشْكُرُونَ) [إبراهيم: ٣٧]."

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرَضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ



يَتَلَبَّطُ، فَاذْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَّ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَّتْ مِنَ الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَّ رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَّ، ثُمَّ أَتَتِ الْمِرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ --صلى الله عليه وسلم--: "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا"، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمِرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهْ -تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا؛ فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ (وفي رواية الطبري بإسنادٍ حسنٍ - كما قال ابن حجرٍ: "فناداها جبريلُ، فقال: من أنتِ؟ قالت: أنا هاجرُ أمُّ ولدِ إبراهيمَ، قال: فيألي من وكلكما؟ قالت: إلى الله، قال: وكلكما إلى كافٍ"، فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ --صلى الله عليه وسلم--: "يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ-، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا" قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا



الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الْعُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتِ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا، أَوْ جَرِيَّتَيْنِ فَإِذَا هُم بِالْمَاءِ، فَارْجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ -- صلى الله عليه وسلم --: "فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ"، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْعُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: حَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: يُعِزُّ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ



أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي:
 كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟
 قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيْرَ عَبْتَةَ بَابِكَ، قَالَ:
 ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ
 أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ
 عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا
 عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا
 طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ
 لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ
 حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ". قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ
 السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتَ عَبْتَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ
 أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ
 فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ،
 قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَبْتَةَ بَابِكَ، قَالَ:
 ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَبْتَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ
 جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبَلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، فَلَمَّا رَأَهُ



قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينِنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ، فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).



الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...

أما بعد: فاعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله...

أيها المؤمنون: إن من سابع عظام نباٍ بناء البيت العتيق تلكم المعالم الكبرى ذات الأثر البالغ في مسيرة الإصلاح الفردي والمجتمعي، والتي يجدر علمها، وبنؤها، وامتثالها كما تسود، وتذاق بركتها، ويُنعَم ببرها، أولى تلك المعالم: إبراز عظم اليقين، وامتلاء القلب بحسن الظن بالله، والاستسلام لأمره، فإن تلك الأمور حين تجتمع تُفضي إلى عاقبة محمودة الأثر مضمونة النتائج؛ وذلك كان حال الخليل حين أمره الله - سبحانه - بتزك ضعيفين من أهله في وادٍ غير ذي زرع قفرٍ من الحياة والأنيس؛ فلجأ إلى حبل الدعاء المتين الذي لا يخبئ من شد به اليد، والذي هو عُدَّة المتيقن المحسن الظنَّ بربه والمستسلم لأمره؛ فكانت منه تلك الدعوات المسطرة في كتاب الله على



khutabaa.com

ص.ب 156528 الرياض 11788
 +966 555 33 222 4
 info@khutabaa.com

مَسْمَعٍ مِنَ الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ - سُبْحَانَهُ-؛ فَنَعِمَتْ بِإِجَابَتِهَا أُمَّمٌ لَا يُحْصَى
عُدُّهَا إِلَى حِينِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

والعنايةُ بشأنِ القبولِ وتَوْحُّي سَبَبِيهِ الإِخْلَاصِ وَالْمَشْرُوعِيَّةِ مِنْ أَجْلِ
مُصَحِّحَاتِ مَسِيرِ الإِصْلَاحِ الرَّاشِدِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ سِرُّ بَرَكََةِ الأَعْمَالِ، وَسَبَبُ
زَكَائِهَا؛ إِذْ هُوَ الغَايَةُ مِنْهَا، وَذَلِكَ مَا يَفِيضُ بِهِ نَبَأُ البِنَاءِ مِنَ المَسِيرِ إِلَى مَكَّةَ،
وحتى وَضِعَ آخِرِ لَبَنَةٍ، وَلِسَانِ النَّبِيِّينَ البَانِيينَ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَا
فَتَرَ مُذْ وَضِعَ القَوَاعِدِ، وَحتى إِتْمَامِ البِنَاءِ الشَّاقِّ سَيِّمًا عَلَى الشَّيْخِ الطَّاعِنِ
فِي السَّنِّ - مَفْصِيحُ عَمَّا وَقَرَّ فِي قَلْبِيهِمَا مِنْ هَمِّ القَبُولِ؛ إِذْ كَانَا يَلْهَجَانِ
بِسؤالِ القَبُولِ الضَّارِعِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ).

ورعايةُ شَأْنِ الأُسْرَةِ مِنْ أَجْلِ اِهْتِمَامَاتِ الأنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-
الإِصْلَاحِيَّةِ، وَتَبَرُّزُ مَظَاهِرِ تلكِ العِنَايَةِ مِنْ نَبَأِ البِنَاءِ فِي اسْتِحْفَافِ اللَّهِ لَهُمْ،
وغرسِ التَّوْحِيدِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَامْتِنَالِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَالدَّعَاءِ لَهُمْ، وَتَفَقُّدِ
أَحْوَالِهِمْ وَإِنْ اسْتَقَلُّوا فِي الدُّورِ أَوْ تَنَاءَتْ بِهِمُ البِلْدَانُ، وَحُسْنِ اخْتِيَارِ
أَزْوَاجِهِمْ، وَمِلَاطِفَتِهِمْ، واحْتِرَامِهِمْ، ومِشَاوَرَتِهِمْ، ومِشَارَكَتِهِمْ أَدَاءَ العِبَادَاتِ.



ألا وإنَّ من أعظمِ معالمِ الصلَاحِ العامِّ للناسِ قاطبةً في نبيِّ بناءِ البيتِ: تعظيمِ بيتِ اللهِ المحرَّمِ الذي جعله اللهُ قيامًا للناسِ وأمنًا؛ كما قال سبحانه: (جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ) [المائدة: ٩٧]، وجعلَ خرابته علامةً كبرى لقيامِ الساعةِ التي لا تقومُ إلا على شرارِ الخلقِ؛ كما قال النبيُّ --صلى اللهُ عليه وسلم--: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ" (رواه البخاريُّ)، وذلك بعدَ هدمِهِ الذي أخبرَ عنه النبيُّ --صلى اللهُ عليه وسلم-- بقوله: "يُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ" (رواه البخاريُّ ومسلمٌ).

وإنما يكونُ تعظيمُه بتعلُّقِ قلوبِ المؤمنين به، وأمِّهم له في نُسكِ الحَجِّ والعمرة، ورعايتهم حرمته، وتذليلِ السُّبُلِ إليه، وتأمينِ أهله وقاصديه، وتطهيره للطائفين والقائمين والعاكفين والرَّكعِ السجود؛ فذاك قدرُ اللهِ الشرعيُّ فيه حين جعله مثابةً للناسِ؛ يشتاقون إليه كلِّما فارقوه، وأمَّنًا حين كان غيرهم يُتَحَطَّفُ.

جعلَ البيتَ مثابًا لهم *** ليسَ منه الدهرُ يَفْضُونَ الوَطْرَ



khutabaa.com

ص.ب 156528 الرياض 11788

+966 555 33 222 4

info@khutabaa.com